

علم الترجمة: واقع وآفاقه من خلال كتاب "من أجل نظرية علمية للترجمة والاتصال" (1) (قراءة تفسيرية)

أ. شعيب مقنوني
جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان -

تمهيد:

تؤدي الترجمة دوراً فعالاً في المعرفة الإنسانية كأداة للتواصل مع الثقافات الأخرى، وكناقل معرفي لمنجزات العصر الثقافي والعلمية والتكنولوجية. لذا فثمة أسئلة تطرح نفسها وتحمل أهميتها الخاصة على أي من المشتغلين في حقل الترجمة: من أي اللغات أترجم؟ ولمن أترجم؟ وفي أي الحقول المعرفية أباشر هذا النشاط الثقافي المهم لربط الثقافة المترجم إليها بالثقافة المترجم منها.

وفي ظل الثوابت التاريخية للشعوب والأمم، في أوروبا وغيرها، أدت حركة الترجمة دوراً مهماً في أحداث النهضة الأوروبية، وأيقظت الترجمة التيارات الفكرية والفنية وامتزجت ثقافات هذه الأمم ليتكون عصر النهضة الأوروبي.

وعليه كانت الترجمة من اللغات اليونانية واللاتينية والعبرية والعربية هي آليات أساسية لأحداث النهضة الأوروبية منذ القرن الرابع عشر للميلاد وحتى عصر العولمة الراهن. وكان من نتائج الفعل الترجمي ميلاد علم الترجمة في بداية الستينيات من القرن المنصرم، إلا أن عدداً من كبار المترجمين انتقدوا هذا العلم وأظهروا عداؤهم الشديد له. وذلك لاختلاف آرائهم في موضوعه، الأمر الذي دفع بالبروفيسور **فولفرام فيلس**، (Wolfram)

(WYLIS)، أستاذ علم الترجمة في جامعة زاربروكن بألمانيا الغربية، سابقاً، إلى جمع دراسات وإخراجها في كتاب اشترك في تأليف فصوله أكثر من عشرين عالماً مختصاً في ميدان الترجمة. مما يتيح للباحثين فرصة التقريب بين الآراء المتباينة.

إن ذلك الكتاب صدر بألمانيا سنة 1985، في سلسلة معروفة في ألمانيا الغربية، سابقاً، تدعى " طرق البحث " أو " اتجاهات البحث ". ترعاها دار للنشر في " دار مشنات " هي " الجمعية العلمية للكتاب ". تبلغ صفحات الكتاب 414 صفحة من القطع المتوسط، تضاف إليها صفحات المقدمة والمحتوى. والكتاب ثمرة مشاركة عدد كبير من العلماء المبرزين في مجال علم الترجمة لا في ألمانيا وحدها ولكن في بلدان أخرى مثل: النمسا، وفرنسا، وتشيكوسلوفاكية، سابقاً، والولايات المتحدة الأمريكية، وسويسرا.

1 - أقسام الكتاب:

ينقسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام. يتناول القسم الأول: نظرية الترجمة العامة. ويحتوي هذا القسم على بابين: يتناول الأول منهما: نظرية الترجمة وصلتها باللغويات النصية. ويضم هذا الباب الفصول التالية:

- تصورات خاطئة وتصورات صحيحة في نظرية الترجمة، بقلم أوجينيوكوشيريو.
- مشكلة الترجمة، بقلم إرفين كوشميدر.
- بعض النواحي الممارسية في الترجمة، بقلم ألبريشت نوبيرت.
- تحديد النص ومنهاج الترجمة، تخطيط لتحديد أنماط النصوص، بقلم كاتارينا رايس.
- الترجمة من حيث هي إيصال، بقلم أنطون يويوفينش.

- الترجمة المطابقة لغة ونصا وموضوعا، بقلم فريتس بيبكه.
أما الباب الثاني من القسم الأول، فيتناول نظرية الترجمة وصلتها بنظرية اللغة. ويضم
الجزء الثاني:

- جوهر الترجمة، بقلم أوجين نايدا.
- أفكار حول منهجية لعلم الترجمة تقوم على أساس من النظرية اللغوية، بقلم
كارل هاينتس فرايجانج.

- نماذج لغوية لعملية الترجمة، بقلم فيلن كوميساروف.
بينما الباب الثالث من القسم الأول والموسوم بـ: نظرية الترجمة والمطابقة. فيضم الفصول
التالية:

- لمحات لغوية للترجمة، بقلم رومان جاكوبسون.
- بعض المشكلات الإحصائية للترجمة، بقلم أوتو كاده.
- الترجمة من حيث هي عملية ترجيح، بقلم جيرى ليفي.
- عناصر علم الترجمة، بقلم هنري فيني.
- في وصف عملية الترجمة، بقلم هانس فيمير.
- ملحوظات حول تعريفات لعملية الترجمة وحول نقد الترجمة، بقلم قرنر
كولر.

ويشتمل القسم الثاني من الكتاب، والموسوم بـ: "علم وصفي للترجمة مرتبط باللغتين". على
خمسة فصول هي:

- النقل.. محاولة لتصنيف جديد، بقلم ريتشارد باوش.
- عملية الترجمة، أندريه كلا.

- الترجمة الحرفية (الفرنسية والألمانية)، بقلم جيزيلا تومه.
 - لغتنا.. بنيات أدواتية وبنيات عقلية، بقلم ماريو فاندروشكا.
 - ترجمة برتولد فيرتل ل "عربة اسمها الرغبة"، بقلم أورترن تسوبر.
- أما القسم الثالث والأخير والمعنون بـ: "علم الترجمة التطبيقي المرتبط باللغتين". فإنه يشتمل على أربعة فصول هي:
- تحليل من وجهة نظر الترجمة لنص مأخوذ من قصة تينيسي وليامز "الشيء الهام"، بقلم باتريسيا كلمرث.
 - نظرات في التحليل النفسي المرتبط بالترجمة، بقلم جيزيلا تيل.
 - الأسلوبية والتحويل، بقلم جان يول فينيه.
 - النقل الحرفي والمطابقة الديناميكية، بقلم ويليام وندرلي.

2 - تقديم الكتاب:

يستهل جامع هذه الدراسات "فولفرام فيلس" تقديمه التحليلي لفصول الكتاب بقوله: «إذا أردنا الإجابة عن التساؤل عن مهمة علم ما إجابة تتفق مع تصورات النظرية العلمية الحديثة، فإننا نقول إن مهمة هذا العلم تتلخص في وصف وشرح المجال الذي ينصب عليه هذا العلم على نحو تحليلي إعلامي؛ باستخدام مناهج مناسبة لموضوعه. ويتكون المجال الموضوعي لعلم الترجمة من ثلاثة مجالات جزئية هي:

أولاً: التحليل النصي المنصب على لغة المنطلق (Langue de départ).

ثانياً: النقل بين لغتين.

ثالثاً: حاصل عملية الترجمة».

ومعنى هذا، يواصل البروفيسور، « إذا أخذنا أنفسنا بالتبسيط الشديد، إننا نقول إن مهمة علم الترجمة هي ابتكار مناهج لهذه المجالات الثلاثة الجزئية، وتحديد الشروط المطابقة على نحو علمي يمكن التحقق من سلامته » .

وإذا نحن نظرنا إلى تطور علم الترجمة في العشرين سنة الماضية، اتضح لنا في غير صعوبة أنه من الأهمية بمكان العمل على التأسيس النظري لمجال موضوعه. و يمكننا أن نردّ الجهود التي بذلت في هذا الاتجاه إلى الحاجة إلى تحليل موضوعي للمعرفة، الغرض منه تفسير جوهر عملية الترجمة انطلاقاً من شروطها العلمية والنصية. ويتلخص الهدف الذي تسعى إليه جهود علم الترجمة على صعيد وضع الفروض وبلورة النظرية في التوصل إلى مجموعات من الأحكام تكون متكاملة في ذاتها وغير قابلة للاختزال، تتيح لنا أن نفهم كيان عملية الترجمة، وتتيح لنا من ثمة أساساً لصياغة محددة للمسائل النوعية المتصلة بالتزاوج اللغوي.

3 - قراءة وعرض لمضمون بعض فصول الكتاب:

سأحاول في قراءتي لفصول هذا الكتاب أن أعرض لبعض الموضوعات و الآراء الأساسية التي احتوتها فصول الكتاب وهي:

3/ 1 - مشكلات الترجمة:

يرى أوجينوكوشيريو، وهو عالم ألماني من أصول رومانية، أن الصعوبات التي تصادف الباحثين في معرض التأسيس النظري لعلم الترجمة، ترجع في المقام الأول إلى غموض العلاقة بين نظرية الترجمة من ناحية ولغويات النص من ناحية ثانية، ويلخص نقده في مسائل أربع هي:

المسألة الأولى:

إن مشكلات الترجمة ينظر إليها من حيث هي مشكلات نوعية متصلة بـ " اللغة " لا من حيث هي مشكلات نوعية متصلة بـ " الكلام " .

المسألة الثانية:

إن المتطلبات التي تفرض على الترجمة متطلبات مثالية، ومعنى هذا أنها مستحيلة التحقيق من الناحية العملية ومستحيلة الصياغة من الناحية النظرية.

المسألة الثالثة:

إننا لا نفرق بما فيه الكفاية بين النقل الذي هو عملية التوصل إلى النظائر، على أساس التحويل من لغة إلى لغة أخرى، والترجمة وهي عملية تحويل لغوي تتخذ هيئة الفن.

المسألة الرابعة:

إن نظرية الترجمة في صورتها الحالية تقوم على أساس مفهوم مجرد، على الرغم من أن الترجمة نشاط مرتبط بهدف معين، أي إنه نشاط له شروطه التاريخية.

ويرى كوشيريرو أن الهدف من الترجمة هو التعبير عن المضمون النصي نفسه فالمطلوب من أي ترجمة هو صياغة نص لغة المنطلق (Langue de départ) صياغة

تستخدم فيها وسائل لغة المستهدف (Langue cible)، وهي عملية تتمعن طريق التطابقات اللغوية التبادلية المنصبة على " المدلولات " لا " الدلالات " .

ومعنى هذا أن حدود الترجمة ليست في إطار العقلانية بل في إطار الخبرة والممارسة. ومن هنا وجب التركيز على توضيح مقاييس التساوي فيما يتصل بموضوعات النصوص ووظائف النصوص ومعالجة النصوص معالجة تقوم على الخبرة والممارسة.

2/ 3 - عملية الترجمة:

يورد الأستاذ إرفين كوشميدر تفصيلات عملية الترجمة نفسها، فينفي أنها عملية نقل إبداعية، فنحن لا نعرف إلا حالات نادرة يمكن أن تقوم فيها الترجمة بعملية تحويل لغوي " واحد إلى واحد ". ينبغي على المترجم أن يبحث في مكونات لغة المنطلق من حيث هي إشارات، فيكشف ما تشير إليه، ويتبين المقصود بالإشارة مضمونها وأسلوبها، ثم يبحث للمقصود نفسه عن الإشارة المناسبة في اللغة المستهدفة مروراً بالمشار إليه أيضاً.

ومعنى هذا أن الأستاذ يرسم لعملية الترجمة تخطيطاً من خطوتين فقط. مؤداهما أن المترجم يقوم بعمليتين جزئيتين متتاليتين زمنياً: العملية الجزئية الأولى هي: **تشخيص النص في لغة المنطلق، والعملية الجزئية الثانية هي إعادة تكوين النص في لغة المستهدف.**

ويؤكد كوشميدر، مثله مثل جاكوبسون ونويرت وغيرهما، على أن النصوص ذات المضامين المعرفية قابلة للترجمة، وأن عملية الترجمة تتطلب أحياناً إجراء تحويلات في العبارة تقوم على تكوين الجملة أو السمات الدلالية تفرضها التباينات البنيوية أو الظروف الاجتماعية الثقافية الخاصة بكل لغة.

3/3 - نظرية الترجمة:

يعرض الباحث أنطوان يويوفيتش أفكاراً مثمرة تفيد في وضع مثل هذه التقسيمات النمطية ومشكلاتها النوعية في إطار نظري متكامل، فهو يتحدث عن نظرية الترجمة العامة، ثم عن نظرية الترجمة الخاصة، إلى جانب حديثه عن ممارسة الترجمة وتعليم الترجمة.

فالترجمة الأدبية، مثلاً، تنتظمها نظرية الترجمة الخاصة. وهذه النظرية الخاصة تأخذ في حسابها مجالات علمية مختلفة، تتصل بها نوعياً منها: علم اللغة المقارن، وعلم الأسلوب المقارن، وعلم الأدب المقارن.

ويعالج الأستاذ الباحث، يويوفيتش، نسبية التطابق أو التساوي في الترجمة واعتمادها على قطاع الجمهور المستهدف أو المستقبل: يرى أن قطاع الجمهور المستهدف أو المستقبل إذا كان على علم بالنص في لغة المنطق فإن الترجمة التي تقدم إليه تكون ترجمة لنص تحويلي. أما إذا لم يكن على علم به فإن الترجمة تكون ترجمة لنص ابتدائي.

وعلى الرغم من عدم وضوح التعبير الذي يستخدمه يويوفيتش فإن دراسته تتجه إلى قيمة الناحية الإيصالية والاستقبالية.

ويرى الباحث أن الترجمة الأدبية لا يمكن تحقيقها دائما على كل المستويات النصية: المستوى الصوتي، والمستوى الصرفي، ومستوى الجملة، ومستوى الألفاظ، ولكنه يوضح على أية حال أن مترجم النص الأدبي عليه أن يراعي مستويات ثلاثة: المستوى اللغوي، ومستوى الأسلوب، ومستوى الموضوع. والمترجم يواجه مشكلة "الثبات النصي" و "التحويلات النصية"، التي تدخل على النص المستهدف. والتحويلات النصية التي نلاحظها على النص المترجم، تدفع الأستاذ يويوفيتش إلى تقسيم الترجمات إلى ثلاثة أنواع:

أ - ترجمة تحقق تجانساً بين لغة المنطلق ولغة المستهدف.

ب - ترجمة تتبع لغة المنطلق.

ت - ترجمة تتبع لغة المستهدف.

والترجمة من حيث عملية تحويل إشاري (كودي) للنص تخضع لعوامل متعددة منها: عامل الزمن، وهذا هو السبب في أن بعض الترجمات تصبح قديمة بمرور الوقت، وتظهر الحاجة إلى ترجمتها مجدداً. وهو يضع هذه الملحوظة في إطار العملية الإيصالية، وهو الإطار العام لأفكاره بصفة عامة.

3 / 4 - الترجمة الآلية:

بديهيا أن نقرأ في مؤلف كهذا شيئا عن الترجمة الآلية. يتناول فريتس بيبكه هذا الموضوع من منطلق التركيز على قيمة المترجم البشري. فهو يرى أن المترجم يقوم في أثناء عملية الترجمة بشيء أساسي هو التفسير، وهو لا يستطيع أن يترجم إلا إذا فهم النص، بل هو لا يترجم إلا ما يكون قد فهمه، ومن هنا فإن عمل آلة الترجمة الإلكترونية لا يمكن أن يسمى ترجمة، لأنه لا يقوم على فهم. الآلة الإلكترونية تقوم بمهمة أخرى هي نقل المعنى دون فهمه. و الفرق بين العمليتين فرق جوهري يبدأ من نوعية تحليل النص في لغة المنطلق. فالآلة الإلكترونية عندما تحلل النص تتلمس ما في النص من علاقات لغوية بداخله. أما المترجم البشري فلديه القدرة على التعامل مع ما في النص من علاقات لغوية داخلية، أي بداخله، وعلاقات لغوية (خارجية) ليست بداخله، بل متصلة بمجالات خارجية.

ويشير بيبكه إلى الدور الحسمي أو الترجيحي الذي يؤتيه المترجم، فهو يفهم ويدرك العلاقات الداخلية والخارجية، ثم يتخذ قرارا يقوم على وجهة نظره في تفسير ما قد فهم، قرارا حسميا أو ترجيحيا، وهذا ما لا تستطيع الآلة.

ويقترح نايدا من هذا الرأي عندما يبين أن عمليات الترجمة ليست عمليات نقل مباشر على مستوى سطح النص، بل هي عمليات تحليلية تركيبية تعتمد على قدرات بشرية في المقام الأول. و لنايدا رأي مشهور في تحليل عملية الترجمة إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: هي المرحلة التي يحل فيها المترجم النص في لغة المنطلق.

المرحلة الثانية: وهي التي يتناول فيها المترجم الشرائح النصية المتفرقة التي توصل إليها بالترتيب في اتجاه اللغة المستهدفة.

المرحلة الثالثة: وهي المرحلة التي ينشئ فيها المترجم النص المستهدف عن طريق عملية تركيبية منصبة على اللغة المستهدفة.

وتتجلى خبرة نايدا الواسعة بالترجمة في وصفه لمرحلة التحليل، وهو يرى أنها تنقسم إلى جزئين اثنين: جزء ينصب على العبارات أو تركيب الجمل، وجزء ينصب على الناحية الدلالية. أما التحليل المنصب على تركيب الجمل فلا يعتمد فيه على العلاقة بين السطح والبنية العميقة، بل على العلاقة بين السطح وبنيات بسيطة يسميها الليّيات القريبة، فحسب رأيه أن مفهوم البنية العميقة لم يتحدد بعد على النحو الذي يمكن علم الترجمة من الاعتماد عليه. وأياً كان الأمر، فإن المترجم يقوم أثناء عملية التحليل بما يمكن أن نسميه بالحوار الذاتي، وهو حوار بديل للحوار مع مؤلف النص، وهذا الحوار الذاتي يتضمن تحويلات استرجاعي تقوم على عمليات تحويل الجمل على مستوى التداخل اللغوي يوجهها الحدس. و المترجم عندما يقوم بهذه العمليات التحويرية المنصبة على الجمل يضيف على التحليل سمة هامة هي سمة الابتكار، لأنه يحلّ بغية نقل النص من لغة المنطلق إلى لغة المستهدف.

وهكذا، فإني أخرج من قراءتي لهذا الكتاب المفيد، بصورة عما وصل إليه علم الترجمة في الثمانينيات من القرن المنصرم، فقد قطع العلماء شوطاً كبيراً في تحديد مجال العلم، وفي توضيح مناهجه، وألقوا الضوء على كثير من خبايا عملية الترجمة التي هي أبعد ما تكون عن الآلية، وأقرب ما تكون إلى الإبداع وهكذا أصبح في مقدورنا أن نقوم ما بين أيدينا من ترجمات على أسس موضوعية بعد أن كان التقويم رهنا بالمزاج الذاتي والخبرة المجردة.

